ملخّص اسئلة وشيء من اجوبة - الحلقة ٢٤ / الشيخ الغزّي
-رواية حول الكلاب والصور والتماثيل ووو .. في البيوت ج٣
-لماذا اخذ النبي صلى الله عليه وآله ابا بكر معه في الهجرة ج١
الثلاثاء : ١٠/ربيع الأول/١٤٤٥هـ - الموافق ٢٦/٩/٢٠٢٣م

لم يكتمل حديثي بِخُصوص الرواية الَّتي قرأتُها عليكُم من كتاب (المحاسن)، الر واية الَّتي تتحدَّثُ عن عدمِ دُخولِ جبرائيل إلى بيتِ النَّبي صلَّى اللَّهُ عليه وآله لأنَّ جرو كلبٍ كانَ موجوداً في البيت..

الر وايةُ الَّتي يدورُ حديثُنا حولَها هي في الجزء الثاني من كتاب المحاسن للبرقي، الصفحة السابعة والعشرين بعدَ الأربعمئة، الحديثُ العاشر من الباب الَّذي عنوانهُ: "باب تزويق البيوت والتصاوير"، طبعةُ مؤسسة الأعلمي/ بيروت - لبنان/ الطبعةُ ذات المَجلَّد الواحد الَّذي يشتملُ على الجزأين..

نظرةٌ سريعةٌ أُلقيها على بعضِ من الزيارات الشريفة:

في (مفاتيح الجنان)، للمحدث القُمي، أبدأُ من زيارة الصديقة الكبرى صلواتُ اللَّه وسلامهُ عليها: **فَإِنَّا نَسْأَلُك** - نُخاطبُ الزَّهراء - **إِنْ كُنَّا صَدَّقْنَاك إِلَّا أَلْحَقْتنَا بِتَصْدِيقِنَا لَهُمَا** - بتصديقنا لمُحَمَّد وعلي صلَّى اللَّهُ عليهما وآلهما - **لِنُبَشِّرَ أَنْفُسَنَا بِأَنَّا قَد طَهُرْنَا بِوَلَايَتِك** - هَذه الطَهارةُ طهارةٌ ماديَّةٌ ومعنويَّة، نَحنُ نتحدَّثُ عن التَصديقِ بِمُحَمَّد وعلي، التصديقُ بِمُحَمَّد وعلي هو الفارقُ ما بينَ الطهارة والنَّجاسة الماديَّة والمعنويَّة على حدٍّ سواء، وَلايةُ المعصوم تُطَهِّر طهارةً ماديَّةً ومعنويَّةً، فهل نستطيعُ أن نتخيَّلَ أنَّ المعصومَ بحاجة إلى تطهير؟ هل نستطيعُ أن نتصوَّرَ أنَ المعصومَ ينفعلُ بالنَّجاسة الماديَّة أو المعنويَّة؟ المعصومُ مصدرٌ للطهارة الماديَّة والمعنويَّة لا يحتاجُ إلى تطهير، لا ينفعلُ بالنَّجاسة يُطهِر النَّجس ويُحولُ النَّجاسةَ إلى طهارة..

في زيارة أئمَّة البقيع إنَّهم أئمَّتُنا إمامُنا الحسنُ المجتبى وإمامُنا زينُ العابدين وإمامُنا الباقرُ الطاهرُ المطهَّر وإمامُنا الصَّادقُ المصدَّق أئمَّتُنا في المدينة النَّبويَّة المطهَّرة، هكذا نُخاطبهُم في زيارتهم الشريفة: **وَجَعَلَ صَلَاتَنَا عَلَيْكُم رَحْمَةً لَنَا وَكَفَّارَةً لِذُنُوبِنَا** - عمليَّةُ التكفير عمليَّةُ تطهير، فهي عمليَّةُ اخفاء وإزالة للنَّجاسة وحينما تُزالُ النَّجاسةُ وتُخفى فإنَّ الطهارة ستحلُّ محلَّها - **إِذْ اخْتَارَكُم اللَّهُ لَنَا وَطَيَّبَ خَلْقَنَا بِمَا مَنَّ عَلَيْنَا مِن وِلَايَتِكُم** - طَيب خَلْقَنا؛ تطهير مادِّيّ، وهذا التطهيرُ المادِّيُّ ينعكسُ في آثارٍ معنويَّة، هؤلاء هُم منابعُ التطهير، لا نستطيعُ أن نتصورَ أنَّهم بحاجة إلى تطهير..

في زيارة سيد الشُّهداء وهي الزيارةُ المخصوصةُ الأولى الَّتي نزورُ الحُسينَ بها في أيَّامِ رجب وفي أيَّامِ شعبان، هكذا نُخاطبُ الحُسينَ الشَّهيد: **أَشْهَدُ أَنَّكَ طُهْرٌ طَاهِرٌ مُطَهَّرٌ** - ماذا تُريدونَ أكثرَ من هذا؟!

- **مِن طُهْرٍ طَاهِرٍ مُطَهَّرٍ طَهُرْتَ** - يا حُسَين، طهُرتَ ذاتاً، وصفات وأفعالاً، طَهُرتَ عيناً وآثاراً، طَهُرتَ ظاهراً وباطناً، طَهُرتَ سرّاً وإعلاناً - **طَهُرتَ وطَهُرَت بِكَ البِلَاد** - البلادُ بِكُلِّ ما فيها - **طَهُرتَ وطَهُرَت بِكَ البِلَاد** - إنَّهَا الأرضُ وما عليها - **وطَهُرْتَ أَرْضٌ أَنْتَ فِيهَا** - يا حُسين طهُرت كربلاء - **وَطَهُرَ حَرَمُك** - هذا هو حُسيننا الَّذي نتحدَّثُ عنهُ ونتطهَّر بزيارته، زيارتهُ طهارةٌ أكانت من قُربٍ أم كانت من بُعد..

ومن زيارة سيد الشُّهداء إلى الزيارة الجامعة الكبيرة هكذا نُخاطبهم صلواتُ اللّه عليهم بعدَ أن نقولَ لَهُم: **وَأَنَّ أَرْوَاحَكُم وَنُورَكُم وَطِينَتَكُم وَاحِدَة طَابَت وَطَهُرَت بَعْضُهَا من بَعْض، خَلَقَكُم اللَّهُ أَنْوَاراً** - فيا أيَّتُها الحقائقُ النُّوريَّةُ المقدَّسةَ يا أيَّتُها الحقائقُ الإلهيَّةُ القادسة - **وَجَعَلَ صَلَاتَنَا عَلَيْكُم وَمَا خَصَّنَا بِه من وِلَايَتِكُم طِيباً لِخَلْقِنَا وَطَهَارَةً لِأَنْفُسِنَا** - إنَّها طهارةٌ ماديَّةٌ ومعنويَّةٌ في الوقتِ نفسه - **وَتَزْكِيَةً لَنَا وَكَفَّارَةً لِذُنُوبِنَا** - كُلُّ أنواع التطهّرِ في كُلِّ مراتبه، الزيَاراتُ طافحةٌ بِهذه المَعاني، كلماتُهم وروايَاتُهم تتدفَّقُ تدفُّقاً بهذه الحقائق..

هُناكَ أمرٌ ثالث؛ الر وايةُ بحسب الظهور العرفي تُشعرُ أنَّهُم بحاجة إلى الملائكة، ولذا فإنَّ الملائكة يتمنَّعُونَ عليهم لهذا السَّبب أو ذاك.

بيوتهم مُختلَفُ الملائكة، الملا ئكةُ يجبُ عليهِم أن يأتوا إليهم، سورةُ القدر واضحةٌ: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾، الملائكةُ بأجمَعهم، أمَّا الرُّوحُ؛ الرُّوحُ هذا ما هو روحُ القُدُس، رُوحُ القُدُس من الملائكة، هذا رُوحُ قُدُسٍ آخر الرواياتُ حدَّثتنا عنه، هذا رُوحُ قُدُسٍ فَاطمِيّ، هذا تجلٍّ من تجلِّيات فَاطمَة، فليلةُ القدرِ ليلتُها وليلةُ القدرِ عنوانٌ لفَاطمَة في ثقافة العترة الطاهرة، ورُوحُ القُدُس الَّذي يُصاحبُ الأنبياء مَلَكٌ من الملائكة هو داخلٌ في مجموعة الملائكة، أمّا هذا الرُّوحُ فهو روحُ القُدُس الفَاطمِيّ أشرفُ مخلوقَات عالَم الملكوت ولذا جاء مذكوراً لوحدهِ في سورة القدر، أحاديثُ العترة الطاهرة تُخبِرنا من أنَّ أفواجَ الملائكة لا تنقطعُ عن بيوتهِم، صباحَ مَساء، في كُلِّ لحظة، في كُلِّ ثانية، معارجُ الوحي ومعارجُ الملائكة عندَهُم صلواتُ اللّه عليهم في بيوتهِم الَّتي كانوا يعيشونَ فيها وفي حضراتهم المقدَّسة، هؤلاء خَدَمٌ وعبيدٌ عِندَهُم، الر وايةُ تُشعِرُ أنَّهم يحتاجونَ إلى الملائكة، عُودوا إلى الزيارات الشريفة ستجدونَ من أنَّ وصفاً يتكرَّرُ فيها من أنَّهم "مُختلَفُ الملائكة".

ما المرادُ من هَذا العنوان: (مُختَلَف)؟ مُختَلَفُ الملائكة يعني أنَّ الملائكةَ لا تنقطعُ عنهُم، ملائكةٌ نازلةٌ وملائكةٌ صاعدةٌ، الجميعُ يختلفونَ إليهم، يعودونَ إليهم، معادُ الملائكة إليهم.

روايةٌ من (الكافي الشريف)، الجزء الأوَّل، طبعةُ دار الأسوة/ طهران - إيران/ البابُ الَّذي عنوانهُ: "أنَّ الأئمّة تَدخُلُ الملائكة بُيُوتَهم وتَطَأُ بُسُطَهُم وتَأتيهم بالأخبار"، بأخبارِ عالَم الشَّهادة وعالَم الغَيب، لأنَّهُم خدمٌ عندَهُم، الحديثُ الرابع، الصفحة السابعة والأربعين بعدَ الأربعمئة: **بِسنده** - بسند الكليني - **عَن إِمَامنا مُوسَى بنِ جَعفَر صَلواتُ اللَّه عَلَيهِما: مَا من مَلَك يُهْبِطُهُ اللَّهُ فِي أَمْرٍ مَا يُهْبِطُهُ إِلَّا بَدَأَ بِالإِمَامِ فَعَرَضَ ذَلِكَ عَلَيه، وإِنَّ مُخْتَلَفَ الْمَلَائِكَة من عِنْد اللّه تَبَارَكَ وتَعَالَى إِلَى صَاحِبِ هذا الأمْر** - إلى إمام الزَّمان، في زماننا إنَّهُ قائم آل مُحَمَّد، إنَّهُ الحُجَّةُ بنُ الحَسَن العسكريّ صلواتُ اللَّه عليه، الملائكةُ صاعدةٌ نازلةٌ، الرواياتُ حدَّثتنا كثيراً عن هذا المضمون، فكيفَ تأتي هذه الروايةُ وهي تُشعرُنا بأنَّ جبرائيل يتمنَّعُ عن دُخولِ بيتِ مُحَمَّدٍ صلَّى اللَّهُ عليه وآله وهُو يشترطُ عليه شيئاً أن يُخرِجُ ذلكَ الجرو من بيته؟!

الرسالةُ الَّتي بينَ يدي بحسبِ ما عُنونَت من الأستاذ الدكتور/ أبو ذر الحُسيني.

الر سالةُ طويلةٌ والسؤالُ الَّذي جاء فيها يتردَّدُ كثيراً، كتبها مثلما يقول مُتعمِّداً باللهجة الشعبيّة العراقيّة، أشارَ إلى مطاعنِ أبي بكر بحسبِ ما تعتقدُ الشيعة، السُّنَّةُ لا يعتقدونَ هذا، ويتساءل يقول: لماذا أخذَ رَسُولُ اللّه صلَّى اللَّهُ عليه وآله أبا بكرٍ معهُ حينما هاجرَ إلى المدينة؟ لماذا لم يأخذ مثلاً أبا ذر الغفاري؟ إلى أن يقول بعد أن يُشير إلى مطاعنِ أبي بكر: **خو يأخذ العملاق أبا ذر الغفاري أو أحد الطاهرين من الصَّحابة، هسه آنا إنسان عادي مو رسول** - أقرأ الكلامَ كما جاء في الرسالة - **من أريد أسافر آخذ وياي خوش آدمي يرافقني بالسفر خصوصاً كانت سفرة خطرة** - يشير إلى هجرة النَّبي - **ومُهمة بتاريخ البشريّة** - ويستمرُّ في كلامهِ في رسالته ويُصِرُّ عَلَيَّ كثيراً أن أُجيبَ على رسالته، وها أنَّني أستجيبُ لطلبهِ سأُجيبُ على رسالته بحدودِ ما يسنحُ بهِ الوقت..

هُناكَ أجوبةٌ تقليديَّةٌ لا أُريد أن أجترَّها لأنَّني لا أعتقدُ بصحَّتها؛ أجوبةٌ يجترّها المعمّمون إمّا في الكُتُبِ، أو على المنابرِ، أو على المواقع الإلكترونيّة، لا شأنَ لي بهم وبأجوبتهم.

هذه القضيّةُ الَّتي جاء السؤالُ بخصوصها ما هي بقضيّة يتيمة؛ إذا أردنا أن ندرُسَ سيرة نبيـنا، وسيرة أئمَّتنا فإنَّ الأمرَ هذا يتكرّرُ دائماً، هُناكَ أشخاصٌ سيـئون النَّبيَ، الأئمَّةُ يهتمّونَ بهم، يفسَحونَ لَهُم مجالاً ومجالاً واسعاً، هذه القضيّةُ ليست خاصَّةً بأبي بكر.

علينا أن نعرفَ أمراً مُهمّاً: مرّةً نحسبُ الأمورَ بحساباتنا البشريَّة.

بحساباتنا البشريَّة هذه الأمورُ ليست منطقيّةً، النَّبيّ كانَ عارفاً بحقيقة أبي بكر لماذا يهتمُّ به ليس في قضيّة الهجرة فقط وإنَّما على طول الخط؟ وأبو بكرٍ مثالٌ، كثيرونَ من أمثالِ أبي بكر، وهذا الأمرُ يتكرّرُ في سيرة أئمَّتنا أيضاً..

لكن لابُدَّ أن تتذكّروا؛ بأنَّ الأمرَ هذا يفعلهُ اللَّهُ سبحانهُ وتعالى قبلَ أن يفعلهُ رَسُولُ اللّه والأئمة، اللَّهُ يتعاملُ بحلمه وبلطفه وبرأفته وبرحمته معَ خلقه، مثلما جاءَ في بعض الأحاديث القُدسيّة؛ "المَالُ مَالِي وَالخَلْقُ عِيَالِي"، هُناكَ حساباتٌ بشريَّةٌ هي حساباتُنا، وحساباتُنا صحيحةٌ بحسبنا.

حينما يسألُ السائلُ ويعترضُ المعترضُ ويستفسرُ المستفسر؛ لماذا تعاملَ رَسُولُ اللّه هكذا مع أبي بكرٍ وأمثاله من الصَّحابَة الَّذينَ ما كانوا مُخلصينَ لرَسُول اللّه؟! الدليلُ واضحٌ في رزيّة الخميس، الدليلُ على عدمِ إخلاصهم هوَ سوءُ عواقبهم، واقعةُ رزيَّة الخميس تكشفُ هذه الحقيقة، ورَسُولُ اللّه كانَ عارفاً بهم، حتَّى لو لم يَكُن على بصيرة رَسُولُ اللّه، تجاربُ خيانتهم وتجاربُ فرارهم القُرآنُ يتحدَّثُ عنها، ألم يَكُن رَسُول اللّه عارفاً بالقُرآن؟! لكنَّ حساباتِ رَسول اللّه ليست كحساباتنا، حساباتُنا بَشريَّةٌ، وحساباتُ رَسُول اللّه حساباتٌ إلَهيّةٌ..

ولهذا السَبب أُمرنا بالتَّسليم لأنَّنا لا نستطيعُ أن نتجرَّدَ من حساباتنا، حساباتُنا صحيحةٌ بحسبنا، لكنَّها لا تُفرَضُ على الدينِ وعلى الرسالة، لا تُفرَضُ على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحمّد..

منَ هُنا جاء تعريفُ الإسلامِ من قِبَلِهِم؛ "بأنَّهُ التَّسليمُ لمُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد صلواتُ اللّه عليهم"، نحنُ حينما نُسلـمُ للّهَ نُسلـمُ لَهُم نحنُ لا نستطيعُ أن نُسلـمَ للّه بنحوٍ مباشر، لا علاقة مُباشرة فيما بيننا وبينَ اللّه، بالضَّبط مثلما قالَ رَسُولُ اللّه صَلَّى اللّهُ عليه وآله: (أنَا مَدينَةُ العلم وَعَليٌّ بَابُها، أنَا مَدينَةُ الحكْمَة وَعَلي بَابُها فَمَن أرَادَ الحكْمَة مَن أرَادَ العلْمَ مَن أرَادَ المَدينَة فَلْيأتها من بَابِها)، البابُ لمُحَمَّد ما هُم الصَّحابَة مَن هؤلاء الأعراب؟! وهذا هو البابُ الَّذي تَحدَّثَ القُرآنُ عنه في الآيَة الحاديةِ والستينَ بعدَ البسملة من سورة آل عمران، آية المباهلة: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُم﴾، بابُ مُحَمَّد لابُدَّ أن يكونَ بمستوى مُحَمَّد صلَّى اللّهُ عليه وآله ، مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد هُم البابُ الَّذي يُؤتَى اللّهُ منه، هكذا هو يُريد، اللّهُ هو يُريد، الَّذي يُريدُ اللّه عليه أن يَلِجَ من هذا الباب..

أبدأ من هُنا: إنَّها أخلاقُ اللّه.

"إنَّها أخلاقُ اللّه"؛ ونبينا أمرنا أن نتخلَّقَ بأخلاق اللّه، لكنَّنا لا نستطيعُ ذلك!! ماذا نفعلُ لجهلنا وغبائنا وحُمقنا وقُصورنا وتقصيرنا وسهونا ونسياننا وذُنوبنا وسيئّاتنا، في الأحاديث الشريفة؛ "من أنَّ الإنسانَ إذا أذنبَ ذنباً ذهبَ جزءٌ من عقله لا يعودُ إليه أبداً"، فماذا نصنعُ؟!

في سورة الحُجرات، الآيةُ الثالثةُ بعدَ العاشرة بعدَ البسملة: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ** - الخطابُ للجميع للأخيارِ وللأشرار، للرجال وللنـساء، للكبارِ وللصغار، للأطفال لليافعينَ للشُبّانِ للشُيوخ للجميع - **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مـن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** - أنتُم على حدٍّ سواء الجميع، الميزانُ هُنا: **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عندَ اللَّه أَتْقَاكُمْ** ﴾، بإمكان الأخيارِ أن يُصبحوا أشراراً، وبإمكان الأشرارِ أن يُصبحوا أخياراً، هذا أمرٌ راجعٌ إليهم وتلكَ مُشكلتهُم لكنَّ اللّه وضعَ القانون، هذا القانونُ يخضعُ لَهُ الجميع، اللَّهُ يعملُ بهذا القانون، مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد يعملونَ بهذا القانون..

من هُنا نحنُ مُحتاجونَ إلى التَّسليم لأنَّنا نُفكـرُ بحسبِ المنطق الترابي، وهُم يعملونَ بحسبِ المنطق النُّوري، الحساباتُ مختلفةٌ فيما بيننا وبينَهُم، هُم ينزلونَ إلينا يتعاملونَ معنا وفقاً لمنطق المداراة لأنَّ هذا هو الَّذي يتناسبُ معنا، لكن في شأنِ الإمامة الَّتي هي شأنٌ ربوبيٌّ يتعاملونَ مع الخلقِ كما يتعاملُ اللّه، الأخيارُ والأشرارُ عندَ اللّه في حدٍّ سواء، وعلى هذا فإنَّ اللّه يفسحُ المجالَ للجميع، ورزقهُ واصلٌ للجميع.

في الدُّعاء المرويِّ عن إمامنا الصَّادق صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه: (**يَا مَنْ يُعْطِي مَن سَأَله** - هذا واضح - **يَا مَن يُعْطِي مَن لَم يَسْأَلهُ وَمَن لَم يَعْرِفهُ** - لماذا؟ - **تَحَنُّناً منْهُ ورَحمَة أَعْطِني بِمَسْأَلَتي إِيَّاك** - هذا الَّذي يسألُ يعرفُ بحدود معرفته، وهذا ما هو بأمرٍ غريب هُناكَ كائنٌ يعرفُ اللّه ويسألُ اللّه، الأمرُ الغريبُ هنا: **يَا مَن يُعْطِي مَنَ لَم يَسْأَلهُ وَمَن لَم يَعْرِفهُ** - لا يعرفُ اللّه ويُعطيه - **تَحَنُّناً منْهُ ورَحمَة** - هذا المنطقُ الإلهيّ، وهو منطقُ الإمامة، إمامةُ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد إمامةٌ إلَهيةٌ، شؤونها إلهيّةٌ، شؤونها ربَّانيّةٌ، ما أظهروهُ من تعاملٍ معنا وفقاً للأعراف ووفقاً للموازين الشرعيّة الَّتي علَّمونا إيّاها كُلُّ هذا يقعُ في أفق المداراة، أمّا شؤونُ إمامتهم نحنُ لا نعرفُ أسرارها..

وهذا الأمرُ يحتاجُ إلى إعطاء الإنسانِ مساحةً كبيرةً، لأنَّ الإنسانَ يُخطئُ ويُخطئُ ويُخطئ ويُمكنُ أن يُصيب، هذا هو المنطقُ الربّاني، هذا هو المنطقُ الإلهيّ، وبما أنَّنا لا نُدركُ أسرارهُ من هُنا أُمرنا بالتَّسليم، سورةُ المؤمنون بعدَ البسملة: ﴿قَد أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾، في تأويلها عن العترة الطاهرة؛ قَد أفلَحَ المُسلـمون، المُسلـمون هُم النَّاجون، ﴿صَلُّوا عَلَيه وَسَلـمُوا تَسْلِيماً﴾، في أفقٍ من آفاقها نحنُ نُصلُ عليه نَرتبطُ به ولكنَّ ارتباطنا كيفَ نُصورهُ؟ نُصورهُ بالتَّسليم لهُ..

في سورة النـساء يتجلَّى هذا المعنى جلياً جداً؛ الآيةُ الخامسةُ والأربعون بعدَ المئة بعدَ البسملة والَّتي بعدَها: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً**﴾، هؤلاء الَّذينَ هُم في الدُّنيا، يعيشونَ مع نفاقهم وبنفاقهم عاقبتُهم القطعيّةُ هي واضحةٌ ولكنَّ البابَ مَفتوحٌ لَهُم: **إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ للّهِ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً**﴾، هذا للمؤمنينَ الَّذينَ هُم من بدايةِ أمرهم من المؤمنين وللمُنافقينَ الَّذينَ رجعوا إلى طريقَ الحقّ فصاروا من المؤمنين على حدٍّ سواء، هذهِ أخلاقُ اللّه وهي أخلاقُ رَسُول اللّه صلَّى اللّهُ عليه وآله، وهي هي أخلاقُ آل رَسُول اللّه صَلواتُ اللّه وسلامهُ عليهم أجمعين..

هُناكَ لقطةٌ جميلةٌ يرسمُها لنا إمامُ زماننا الحُجَّةُ بنُ الحسن في دُعاء الافتتاح وهو دُعاءٌ مرويٌّ عنه يُقرأ في ليالي شهر رمضان؛ في (مفاتيح الجنان)، الدَّاعي بحسبِ ما يُعلـمنا إمامُ زماننا يُخاطبُ اللّه: **قَصرتُ أَدْعُوكَ آمنَا** - مع كُلِّ قُصوري وتقصيري، معَ كُلِّ عيوبي، معَ كُلِّ الأسباب الَّتي لو كُنتُ حكيماً لكُنتُ خائفاً منك لكُنتُ خَجِلاً منك، ولكن معَ كُلِّ ذلكَ فأنا أدعُوكَ وأنا آمنٌ لعلمي بكرمك - **وأَسْأَلُكَ مُسْتَأنِساً لا خَائفَاً ولا وَجِلاً** - بل ماذا أفعل؟ - **مُدلّاً عَلَيْك** - أتدلَّلُ عليك، هكذا أتعاملُ معك، لأنَّكَ أنتَ الَّذي فسحت لي هذا المجالَ، أنتَ الَّذي علَّمتني على هذا - **فَيمَا قَصَدْتُ فيه إِلَيْك فَإِنْ أَبْطَأ عَنـي عَتَبْتُ بِجَهْلِي عَلَيْك وَلَعَلَّ الَّذي أَبْطَأ عَنـي هُو خَيْرٌ لِي لعلمكَ بِعَاقبَة الأُمور، فَلَم أَرَى مَوْلاً كَرِيماً أَصْبَرَ عَلَى عَبْد لَئِيم منْكَ عَلَيَّ يَا رَبِّ إِنَّكَ تَدْعُوني فَأُوَلـي عَنْك وَتَتَحَبَّبُ إِلَيَّ فَأَتَبَغَّضُ إِلَيْك وَتَتَوَدَّدُ إِلَيَّ فَلَا أَقْبَلُ منْك** - هل هُناكَ من تودُّد من اللّه أعظمُ من أن يبعثَ إلى هذه الأُمَّة مُحمّداً؟! النَّبيّ صلَّى اللّهُ عليه وآله يقولُ لَهُم أُريدُ أن أكتُبَ لكُم كتاباً عاصماً يتودَّدُ إليهم بهذا وهم يقولونَ منَ أنَّكَ تهجُر يا مُحَمَّد ويرفضونَ أن يكتُبَ لهُم مُحَمَّدٌ صلَّى اللّهُ عليه وآله الكتابَ العاصم، وعلى رأسهم عُمر، ولذا فقد طردَهُم رَسُولُ اللّه صلَّى اللّهُ عليه وآله - **كَأَنَّ لِي التَّطَوَّلَ عَلَيْك** - أنا الَّذي أتطوَّلُ عليك أنا صاحبُ الطَّولِ والمنَّة عليك، ومعَ ذلك - **فَلَم**

يَمْنَعْكَ ذَلكَ من الرَّحْمَة لِي وَالإِحْسَانِ إِلَيَّ وَالتَّفَضُّلِ عَلَيّ بِجُودِكَ وَكَرَمِك فَارْحَم عَبْدَكَ الجَاهِل - عبدُكَ جاهلٌ جهولٌ هذا، هذا هو حالُ الجميع، حالُ الأخيارِ وحالُ الأشرارِ، اللّهُ هكذا يتعاملُ معنا...

في دُعاء كُميل المرويِّ عن أمير المؤمنين صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه علَّمهُ لكميل بنِ زياد، في فقرات هذا الدُّعاء: **اللَّهُمَّ إِنـي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَت كُلَّ شَيْء وَبِقُوَّتِكَ الَّتِي قَهَرْتَ بِهَا كُلَّ شَيْء** - هُناكَ رحمةٌ تسعُ كُلَّ شيء وفي الوقت نفسه هُناكَ قُوّةٌ تقهرُ كُلَّ شيء - **ولا يُمْكِنُ الفرارُ من حُكومَتك** - إلى أين نفر؟! في (تفسير القمّي)، صحيح أنَّ التفسير تعرّضَ للتحريف والتصحيف لكنَّ فيهِ من الحقائقِ الكثير، إنَّهُ جامعٌ من جوامع أحاديثنا التفسيريَّة الشريفة، طبعةُ مؤسّسة الأعلمي/ بيروت - لبنان/ الصفحة الحادية والأربعين عن إمامنا الصَّادقِ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه: **فَأَوَّلُ مَن قَاسَ إِبْلِيْس وَاسْتَكْبَر** - وفي هذه الأُمَّة أوَّلُ من قاسَ واستكبر هُم خُلفاء سقيفة بنَي ساعدة، استكبروا على العترة الطاهرة - **والاسْتِكْبَارُ هُوَ أَوَّلُ معصية عُصِيَ اللَّهُ بِها** - يُشير الإمامُ إلى معصيةِ إبليس حينما استكبرَ على أبينا آدم - **قَالَ إمامُنَا الصَّادقُ: فَقَالَ إِبْلِيس: يَا رَبّ اعْفِني منَ السُّجُود لآدَم وَأَنَا أَعبدُكَ عِبَادَةً لَم يَعْبُدْكَهَا مَلَكٌ مُقَرَّب وَلَا نَبِي مُرسل، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: لَا حَاجَة لِي إِلَىٰ عِبَادَتك إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أُعْبَدَ من حَيثُ أُرِيْدَ لَا من حَيثُ تُرِيد** - قد يقولُ قائلٌ: وهل أنَّ اللّهَ مُحتاجٌ إلى عبادة من هذا النوع؟ قطعاً لا، إنَّما برنامجُ هدايةِ النَّاسِ وما هو نافعٌ للنَّاس أن تكونَ العبادةُ هكذا، وإلَّا فإنَّ اللّه غنيّ عن كُلِّ هذا - **فَأَبَىٰ أَنْ يَسْجُد** - بقيَ على عناده حتَّى بعدَ أن سمع الحقيقةَ الكاملةَ من اللّه سُبحانهُ وتعالى - **فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: "فَاخْرُجْ منْهَا فَإِنَّكَ رَجِيْم وإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْن"، فَقَالَ إِبْلِيس: يَا رَبّ كَيفَ وَأَنْتَ العَدْلُ الَّذِي لَا تَجُورِ فَثَوَابُ عَمَلِي بَطُل؟** - عملهُ الصّالحَ السّابق - **قَالَ: لَا، وَلَكن اسأل من أمْر الدُّنْيَا مَا شِئْتَ ثَواباً لعَمَلك فَأُعْطيك، فَأَوَّلُ مَا سَأَلَ البَقاءَ إِلَىٰ يَوْم الدِّين** - إبليس سألَ اللّهَ أن يبقى إلى يوم الدِّين إلى يوم القيامة - **فَقَالَ اللَّهُ: قَدْ أَعْطَيْتُك** - بقاء إبليس إلى يوم القيامة بحسبِ الآيات كانَ مرفوضاً من قبل اللّه فيبدو أنَّ الرواية فيها نقصٌ أو أنَّ المرادَ من يوم الدِّين هُنا ظهورُ إمامِ زماننا، لأنَّ برنامجَ إبليس يبدأ بالانحسار منَ اللحظة الَّتي يظهر فيها إمامُ زماننا صلواتُ اللّه عليه، تُجفَّفُ منابعُ برامجه، هذا لا يعني أنَّ إبليس سينتهي بالكامل في زمن الظهور، إبليسُ لهُ رجعةٌ في زمن الرّجعة، هذا موضوعٌ مُفصَّلٌ في بابه - **قَالَ: سَلـطْني عَلَىٰ وُلْد آدَم** - لأنَّهُ يُبغضُ آدم يحسدهُ - **قَالَ: قَدْ سَلَّطْتُك، قَالَ: أَجْرِنِي منْهُم مَجْرَى الدَّمِ في العُرُوق، قَالَ: قَد أَجْرَيْتُك، قَالَ: لا يُولَدُ لَهُم وَلَدٌ إِلَّا وُلِدَ لِي اثْنَانَ** - كي يسلـطَ أولادَهُ على أولاد آدم - **وَأَرَاهُم وَلَا يَرَونِي وَأَتَصَوَّرُ لَهُم فِي كُلِّ صُورة شِئْت، فَقَالَ: قَدْ أَعْطَيْتُك، قَالَ: يَا رَبّ زِدْنِي، قَالَ: قَد جَعَلْتُ لَكَ وَلَذُرِّيَّتَكَ فِي صُدُورِهم أَوْطَاناً** - بإمكانهم أن يدخلوا إلى قُلوب الآدميّين إلى صدورهم - **قَالَ: رَبِّ حَسبِي** - أعطاهُ ما يُريد - **فَقَالَ إبليسُ عندَ ذلكَ: "فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِين، ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ".**

روايةٌ أخرى عن إمامنا الصَّادق صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه: **لَمَّا أَعْطَىٰ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِبْلِيسَ مَا أَعْطَاهُ منَ القُوَّة قَالَ آدَمُ: يَا رَبّ سَلَّطتَهُ عَلَىٰ وُلْدِي وَأَجْرَيتَهُ فِيهِم مَجْرَىٰ الدَّمِ فِي العُرُوق وَأَعْطَيْتَهُ مَا أَعْطَيْتَهُ فَمَا لِي وَلِوُلْدِي؟** - ماذا تعطيني وتعطي لولدي؟ - **فَقَالَ: لَكَ وَلِوُلْدِكَ السَّيِّئَةُ بِوَاحِدَة وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِها، قَالَ: يَا رَبِّ زِدْنِي، قَالَ: التَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ إِلَىٰ حِينَ تَبْلُغُ النَّفْسُ الحُلْقُوم** - إلى لحظة الحشرجة والغرغرة بعدَ الحشرجةَ والغرغرة تخرجُ الرّوحُ من الجسد - **فَقَالَ: يَا رَبِّ زِدْنِي، قَالَ: أَغْفِرُ ولا أُبَالِي** - من دُون حساب، هذه الحساباتُ الإلهيّةُ - **قَالَ: حَسبِي** - إلى آخرِ ما جاء في الروايةِ.

هذه قوانينُ اللّه، وهذا عطاء اللّه، أعطى لإبليس ما أعطى وأعطى لآدمَ ما أعطى..

ومنَ هُنا يأتي هذا الإشكالُ بخُصوص أبي بكرٍ وأمثاله، ويستمرّ هذا الإشكالُ بخُصوص زواج النَّبيّ من عائشة، ويستمرّ ويستمرّ ويستمرّ على طول سيرة رَسُول اللّه وعلى طول سيرة أمير المؤمنين وتأتي الإشكالاتُ لماذا فتحت الزَّهراء الباب؟ أو لماذا وقفت عندَ الباب؟ أو لماذا أو لماذا والحكايةُ طويلةٌ، هذه أسئلةٌ مردُّها إلى منطقٍ ترابيٍّ، وهؤلاء أُشيرُ إلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد يتصرّفونَ وِفقاً لمنطقٍ نوريٍّ، وفارقٌ كبيرٌ بينَ المنطقين..